طبيب رغم أنفه

كانَ فى قديمِ الزمانِ فى قريةٍ من القُرَى فلاحٌ يسمَّى شعبانَ . وكانَ رجلا فَظًّا يَضربُ زوجَهُ « مبروكةَ » كلَّ يومٍ ويُسىء مُعاملتها . فحقدَتْ عليه فى نفسها وصَمَّمَتْ على الانتقامِ منهُ .

وفى أحدِ الأيام مرَّ أمامَ دارها رجُلان قالا : إنَّ حاكمَ البلدةِ المجاورةِ له بنتٌ جميلةٌ يُحبُّها حبًّا جَمًّا ، وقد مَرِضَتْ ، وعجزَ أطباءٌ كثيرون عن علاجِها ، فأرسلهما يبحثانِ عن طبيبٍ ماهرٍ لعلَّ شِفاءها يكون على يديْهِ .

فلما سمعتْ مبروكةُ ذلك قالتْ فى نفسها « الحمدُ لله ! ها قد سَنَحتْ لى الفُرصةُ للانتقام من ذلك الوحش » ثم نظرتْ إليهما وقالتْ « إنَّ عندى الطبيبَ الذى تَطْلُبانه » قالا « فمَنْ هو ؟ » قالتْ « زَوْجى شعبانُ . إنه طبيبٌ لا مَثيلَ لهُ ، ويأتى بالعجائبِ فى الحالاتِ التى يُعالجُها . وآخرُ كَراماتِه أن طفلاً وقع من فوق مِئْذنةِ الجامع فى الشهر الماضى ، وكُسِرَ رأسُهُ وذراعاه ورِجلاه . فلما أحضروه إلى شعبانَ ، دهَنَ له جسمَه (بمرهم) خاصٍّ لا يَعرفُ سرَّه سِواهُ ، فقام الطفلُ على الفَوْر يجرى ويلعبُ كأنْ لم يكن به شىءٌ . »

عجِب الرجلان لمهارةِ ذلك الطبيب وسألاها عن مكانه ، فأشارتْ إلى الحقلِ ، وقالت « هو هناك يتسلى بعزق الأرض » . قالا « وما دخلُ الطبيب بالعزق ؟ » .

قالت « إنَّهُ رجلٌ غريبُ الأطوار . وكثيراً ما يهرُبُ من زبائنه ، ويلْبَس ملابسَ الفلاحين ؛ ويدَّعى أنه ليس طبيباً وإذا ذهبتما إليه الآن سيقولُ لكما ذلك ، ولا يعترفُ بحقيقة أمرِه إلا إذا ضُرِبَ ضرْباً موجعاً . فخذا هذه العصىَّ الغليظةَ ، واذهبا فى طلبه . » فقال أحدُ الرجلين « من الغريب أنَّهُ لا يوجد رجلٌ عظيمٌ إلا وبه صفةٌ شاذةٌ كهذه تختلطُ بعلمِه الغزير . وكثيراً ما شاهدتُ ذلك بنفسى فى العظماء . »

ثم ذهب الرجلانِ إلى الحقل ، فوجدا شعبانَ هناك . فسألاه « هل أنت شعبانُ ؟ » قال « نعم . فاذا تريدانِ منى ؟ » قالا « قد سمعنـــا عن مهارتك ، ونحن فى حاجةٍ إليك . » قال « إنَّ ما سَمِعتماه هو عينُ الصوابِ ، فليس يُجارينى فى الزراعة أحدٌ . » قال أحدُ الرجلين « إنه يُحزنُنا أن نرى عالماً كبيراً وطبيباً شهيراً مثلَك يتخفَّى فى زىِّ فلاح ! »

فلما سَمِع شعبانُ ذلك ، قال فى نفســه « لا بدَّ أن يكونَ هذا الرجلُ مجنوناً ! » ثم التفت إليه وقال « أىُّ طبيبٍ تعْنى ؟ إنى فلاحٌ بسيطٌ ، لا دَخْلَ لى بالطبِّ . »

وهنا قال كلٌّ من الرجلين فى نفسه « إنَّ المرأةَ على حقٍّ ، ولا مفرَّ لنا من ضربه . » ثم انهالا عليه بالعِصىِّ ، ولم يتركا مكاناً من جسمه إلا أشبعاه ضرْباً . وأخيراً لما أعياه

الألمُ وافقهما على أنه طبيبٌ ، وقال إنه مستعدٌ للسير معهما حيث يشاءان .

فأخذاه ، وألبساه ملابسَ الأطباءِ ، وسارا به حتى دخل على الحاكم . فرحَّب به ، وقال له « إنَّ ابنتى زهرةَ الجمال أصابها مرضٌ فى لسانها فأصبحتْ لا تستطيعُ الكلامَ . وهى مخطوبةٌ إلى صديقى حمدانَ التاجرِ الكبيرِ ، وأريد أن أعجِّلَ بزواجها . وإنى أُمهلك أسبوعاً . فاذا نجحت فى علاجها أعطيتُك كلَّ ما تطلبُ ، وإلاَّ أمرْتُ بقطع رأسك . »

فدخل شعبانُ إليها ، وتظاهر بفحصها . ولما سأله أبوها عن سببِ مرضِها ، أجاب بكلامٍ طويلٍ حشر فيه أسماء أشجارٍ غريبةٍ . فلم يفهم الحاكمُ شيئاً مما قاله ، ولكنه اقتنع بأنَّ شعبانَ طبيبٌ عظيمٌ . وسأله عن الدواء فقال « يجبُ أن تبقى فى الفراش لا تتحرك ، وتتغذَّى بحبِّ القُرْطُم . » ورأى شعبانُ أن الحاكمَ لم يُعجبْه هذا الدواء ، فقال له « ألا تعلمُ أن القرطُمَ غذاءُ البِبَّغاء ، وأنه

شعبان يضربه الرجلان

هو سببُ ما اشتهرت به من كثرة الكلام ؟ وإذا كان القرطُمُ يُنطقُ البِبغاء فكيف لا يُنطق الانسانَ ؟ » فسُرَّ الحاكمُ لهذا التفسير سروراً عظيما ، وأعطى شعبانَ مبلغاً كبيراً من المال .

واشتهرَ أمرُ هذا الطبيبِ فى المدينةِ ، وأقبلَ عليهِ المرْضى من كلِّ فجٍّ ، ولكنَّ الأيامَ مضتْ وزهوةُ الجمال لا تتكلمُ . وأخذ شعبانُ يخافُ على رأسه ، ويلعنُ الساعةَ التى طاوعَ فيها الرجلين . وأخيراً فى اليوم السادس جاءهُ شابٌ عريقُ الأصل ، اسمه حسنٌ . ولمْ يكنْ بهِ مرض وإنما كانَ يريدُ أنْ يتزوجَ زهرةَ الجمالِ ، وقد فضَّل والدُها حمدانَ عليه ، لأنه أغنى منه . فلما سَمِعَ بزيارةِ شعبانَ لها ، جاءه يقُصُّ عليهِ حقيقةَ الأمر ، فقال « اعلمْ ياسيِّدى أن زهرةَ الجمالِ ليستْ مريضةً ، وإنما تتصنعُ المرضَ لأنها لا تريدُ أن تتزوجَ من الرجل الذى اختارَه لها والدُها ولمْ تجدْ وسيلةً لتعطيلِ زواجها منهُ الا بأنْ تتصنعَ الخرَس »

قال شعبانُ « وماذا تريدُ منِّى ؟ » قال « أريدُ أن تجمعَنى بها . » قال « إذاً فتزىَّ بزىِّ الأطباءِ ، وتعال معى كأنك مُساعِدى » قال « ولكنى لا أعرفُ فى الطبِّ شيئاً » قال شعبانُ « ولا أنا ! لأنى لستُ طبيباً فى الحقيقةِ ، وإنما أُرغمتُ على ذلك إرْغاما . »

وفى اليوم التالى ذهب حسنٌ مع شعبانَ لزيارة زهرةِ الجمال . وأخذ حسنٌ يُقنعُها بأن تتكلمَ ، بينما كان شعبانُ يُحادِثُ أباها فى الطرَفِ الآخرِ من الغُرفةِ . وأخيراً

تكلّمت . وفرح أبوها فرحاً عظيما ، وهنأ الطبيبين على نجاحهما الباهر . ولكنّ كلامها لم يكنْ مما يَسُرُّه ، فأنها انفجرتْ تتحدّثُ بما كان مختبئاً فى نفسها منْ ألفاظٍ قاسية . فقالتْ إنها لنْ تتزوّج حمدانَ قطُّ ، وإنها تُفَضِّلُ الموتَ على ذلك ، وليس فى الدنيا شىءٌ يَقدِرُ على تغيير عزمها . واستمرتْ تتكلمُ وتتكلمُ الى أن ضَجِرَ أبوها وطَلَبَ إلى شعبانَ أن يُعيدَها إلى خِدرِها . فقال شعبانُ « إنّ هذا مستحيلٌ . وإنما يمكننى ، إذا شِئتَ ، أن أُفقدَك السمع ، فلا تسمعُ كلامها . »

ورأى الأبُ أن هذا الحلّ لا يوافقُ مِزاجهُ ، فتركهم وخرج .

وحدث بعد أيام أن ورِثَ حسنٌ ثروةً كبيرةً عن عمّةٍ له تُوُفِّيتْ ، فوافق الحاكمُ على زواجهِ من زهرة الجمال . وعاشا فى « الثبات والنبات » .

وأمّا شعبانُ فانه أصبح طبيباً مشهوراً ، ففرحتْ به زوجُهُ ، وتعلمتْ أن تبتعد عنهُ كلما غَضِب ، فلا تترك لهُ فرصةً لضربها .

وهكذا انتهت هذه الحادثةُ بالخيرِ والسرورِ للجميع

لماذا تتبدل الأسنان مرة واحدة ولا تتبدل مرة ثانية ؟

عند ما يُولدُ الطفلُ تكونُ أسنانهُ الأولى وعَدَدُها عشرون سنًّا تامّةَ التكوين ، ولكنها مختفيةٌ داخلَ اللثّة وهذا ضرورىٌّ لأن الطفلَ فى هذه المرحلةِ منْ حياتهِ يأكلُ بالمَصِّ لا بالقطع والمضغ . ولذلك كان من الأوفق اختفاءُ هذه الاسنانِ وعدمُ ظهورها . الا حينَ الحاجة إليها . ويُوجَدُ تحتَ هذه الأسنان الأولى وكذلك فى أواخر الفكّين ، داخل اللثة ، مجموعةٌ من الخلايا تتكوّنُ منها فى الوقت المناسب الأسنانُ الثانيةُ أو الدائمةُ ويقال حينئذٍ إن الطفلَ يُبَدِّلُ أسنانهُ .

وإذا فحصناها نرى أنها لا تُشبهُ الأسنان مطلقا .

وَلكنّ الأسنانَ الدائمةَ تتكوّنُ منها ، وعددُها اثنتان وثلاثونَ بين أسنانٍ وأنيابٍ وأضراسٍ

ولمّا كانتْ اللّثةُ لا تحتوى على غير هذه المجموعة من الخلايا ، فلا يُمكنُ أنْ تتكوّنَ مجموعةٌ أخرى منَ الأسنان ولذلك لا تتبدّلُ الأسنانُ الا مرّةً واحدةً

ومِنْ أجل هذا تجب العنايةُ بهذه الأسنان الدائمة كما يسميها بعضُ الناس . وتبدأ هذه العنايةُ بالمحافظةِ على الأسنان الأولى حتى لا تتسرّبَ منها الأمراضُ إلى الخلايا فتؤثرَ فى نمو الأسنانِ الدائمةِ وفى قوّتها .